خواطر بقلم
أوّل قائد لقوات اليونيفيل

قائد قوات اليونيفيل اللواء ايمانويل ارسكين يتفقد القوات الهولندية في مقرها في حاريص ايار 1980

- الأمم المتحدة -

أصدر مجلس الأمن القرار 425، ومن بين ما نص عليه، تحديد منطقة عمليات اليونيفيل من خلال المفاوضات مع الأطراف المتنازعة، وبدأت على الفور المساعي السياسية نحو تحقيق هذا الهدف. فعقدتُ ومسؤول التنسيق الفريق أنزيو سيلاسفيو اجتماعات في 20 آذار 1978 مع وزير الدفاع الإسرائيلي عازار وايزمان ورئيس الأركان في الجيش الإسرائيلي الفريق غور. في اليوم التالي توجهنا إلى بيروت للإجتماع مع رئيس الوزراء سليم الحص ووزير الخارجية فؤاد بطرس وقائد الجيش اللبناني العماد فيكتور خوري. وفي 28 آذار، إنضم إلي الدكتور جيمس جوناه من مكتب نائب الأمين العام للشؤون السياسية الخاصة، واجتمعنا سوياً برئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات.

حين تأسست اليونيفيل وفي بداية عمليات حفظ السلام، إستفادت كثيراً من وجود المراقبين العاملين ضمن هيئة مراقبة الهدنة، واستفادت بشكل خاص من لجنة الهدنة المشتركة بين لبنان وإسرائيل والموجودة في جنوب لبنان منذ عام 1972. تجسدت هذه الإفادة في أنّ المراقبين العسكريين من لجنة الهدنة المشتركة، والتي انقسمت بعدها إلى لجنة مراقبي الهدنة في بيروت ولجنة مراقبي الهدنة في لبنان، شكّلوا ما يشبه الفريق الإعدادي من اليونيفيل، إذ أنجزوا الكثير من الأعمال التنظيمية للوحدات القادمة.

ساهمت الدول الأعضاء بأعداد كبيرة من الوحدات. ففي 23 آذار اي بعد 4 أيام فقط من إصدار القرار 425، وصلت الفرقة الفرنسية الى مطار بيروت الدولي، وبعد يومين توجهت الفرقة النروجية إلى تل أبيب فيما كانت الفرقة الايرانية آخر الواصلين في 9 حزيران.

كانت الفرقة الفرنسية تتضمن أكبر عدد من الوحدات المشاركة، حيث تكونت من كتيبة مشاة وكان مقرها في صور، كما قدمت خدمات لوجستية وهندسية وخدمات نقل. أما النروج، فأرسلت أيضاً كتيبة مشاة تمركزت في إبل السقي، إضافة إلى سرية صيانة وتصليح وأسست مستشفا ميدانياً في الناقورة. قدمت كندا سرية إشارات، ووفّرت الكتيبة الايرلندية سرية لحماية المقر العام لليونيفيل في الناقورة، كما وفّرت ايطاليا القدرة الجوية، وانضمت غانا إلى اليونيفيل لاحقاً مع وحدة وخدمات هندسية إضافية، كما جاءت السويد لتملأ مكان السرية الطبية النروجية. عام 1979، سحبت فرنسا وحدة القتال التي كانت قد ارسلتها فاستبدلت بوحدة هولندية، ومن بين البلدان الأخرى التي ساهمت بوحداتها، السنغال وفيجي والنيبال ونيجيريا. في 22 آذار، إنتقلت سريتا مشاة معززتان (السرية الايرانية من فريق مراقبي الجولان UNDOF والسرية السويدية من قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة UNEF) إلى جنوب لبنان، بغية دعم عمليات لجنة مراقبي الهدنة.

تعززت قوة اليونيفيل وزادت عناصرها من 4 إلى 6 آلاف نتيجة لمناقشاتنا مع الأمين العام الدكتور كورت فالدهايم خلال زيارته الأولى لنا في نيسان عام 1978. وكان المراقبون العسكريون التابعون للجنة الهدنة المشتركة قد قاموا بالاجراءات العملانية المعتمدة لقوة اليونيفيل مما سهل الإنتشار والعمليات العسكرية بالنسبة للوحدات القادمة.

وهكذا اعتمدت الوحدات القادمة على الاجراءات العملانية المعتمدة لقوة اليونيفيل لكي تطور إجراءاتها الخاصة. وكانت هذه الخطوة أساسية من أجل التشديد على منع أي خروقات من جهة القوات الإسرائيلية المسلحة أو جيش لبنان الجنوبي، وايضا لمنع تسلل أي عناصر مسلحة من منظمة التحرير الفلسطينية على سبيل المثال أو أي مقاتلين لبنانيين آخرين، إلى منطقة عمليات اليونيفيل. لهذا الهدف، تعززت الحواجز لتوفير حماية قصوى للقوات، وسُيّرت الدوريات المؤللة والدوريات الراجلة على مدار الساعة كما تمت مراقبة كافة التحركات من مواقع مراقبة معززة.

شكّلت هذه النشاطات المهام الأساسية لليونيفيل والتي لم تكن خالية من المخاطر، خاصة على الحواجز، حيث كانت تقع بعض الاصابات في صفوف اليونيفيل من وقت إلى آخر. بالرغم من وقوع هذه الاصابات، كان لا بد من اقامة هذه الحواجز في المرحلة التأسيسية الاولى للمهمة.

أظهرت اليونيفيل درجة مهنية ومناقبية كقوة حفظ سلام فعالة ومفيدة، عندما حان الوقت لاستخدام القوة من أجل الدفاع عن مهمتها. في نيسان عام 1980، حاول جيش لبنان الجنوبي أن يستولي على قرية الطيري بالقوة. حشدت اليونيفيل إحتياطي قواتها المتحركة التي تضمنت صاروخ «تاو» TOW الهولندي المضاد للدبابات. كلفتنا حربنا الصغيرة في الطيري بعض العناصر، لكنها في المقابل برهنت على مبدأ الصرامة الجوهري، مبدأ كل قوة لحفظ السلام. نجحت اليونيفيل في مهمتها بفضل مهنية جنودها، والدعم الدائم من الأمين العام للأمم المتحدة، والحكومات المساهمة، وفعالية قيادة اليونيفيل الموحدة.

واجهت اليونيفيل صعوبات كثيرة من النواحي السياسية والعملانية والإدارية، وسط الأزمة اللبنانية. في 13 حزيران وخلال الإنسحاب الإسرائيلي، لم تسلّم القوات الإسرائيلية المسلحة اليونيفيل الأرض الممتدة على طول حدودها والتي تسكنها غالبية مسيحية، بل أعطتها للميليشيا التابعة لها، فشكّل هذا العائق السياسي الرئيسي أمام تنفيذ اليونيفيل لمهمتها بشكل كامل. وقعت أولى الضحايا من بين صفوفنا حين خطا المؤهل أول كارل أوسكار جوهانسن من الفرقة الامنية السويدية فوق لغم أرضي في منطقة جسر الخردلة خلال أيام الإنتشار الأولى. وبعد يوم على وصول الجنود السنغاليين، قتل ثلاثة منهم عندما مرت سيارتهم الجيب فوق لغم أرضي.

عانت قواتنا من القتل والخطف وإطلاق النار، وتعرّض مقر القوة في الناقورة للقصف المتعمد، كما كانت مقرات الوحدات تتعرض للقصف من حين إلى آخر. وكان استهداف اليونيفيل يأتي دائماً للرد على الأعمال التي تقوم بها في إطار مهمتها الشرعية. في 12 نيسان 1980، تعرضت الناقورة لقصف كثيف بعد هزيمة الرائد حداد وقواته في الطيري، وتعرضت شخصياً للإعتداء الجسدي خلال مفاوضاتي مع حداد وبعض عناصر ميليشياته، من أجل إطلاق الجنود الهولنديين الثلاثة الذين خطفوا واخذوا رهائن. وبناءً للإجراءات العملانية المعتمدة، كنا دائماً في موقع المدافعة.

كان موظفو اليونيفيل يسلكون الطريق الساحلية إلى بيروت للحصول على حاجياتهم اللوجستية، لكن أعاقت هذه التنقلات حواجز لا تحصى وضعتها مختلف المجموعات المسلحة المتورطة في الأزمة اللبنانية. وكانت هذه من أبرز الصعوبات الإدارية التي واجهناها.

كان إحضار قوات الجيش اللبناني من بيروت إلى منطقة عملياتنا، من أهم وأصعب المهام التي أوكلت إلينا، فقد اعتبر وجود الجيش يشكل تحدياً لصورة الرائد حداد والميليشيا التي يقودها. وجرى التعبير عن المقاومة الشرسة لانتشار الجيش اللبناني من خلال قصف المقر النروجي في إبل السقي والمقر النيبالي في بلاط، وقوات الجيش اللبناني في كوكبا. في النهاية إستطاعت اليونيفيل أن تتخطى هذه الصعوبات بمساعدة لجنة مراقبي الهدنة في لبنان، وفي 1 آب 1978، وصل الجيش اللبناني ليعمل جنباً إلى جنب مع قوات اليونيفيل.

لم يكن مؤسسو مهمة اليونيفيل يخططون لتقديم الخدمات الإنسانية عند تأسيسها، لكننا أدركنا أننا لن نتمكن من تنفيذ أهدافنا، إن لم نساعد السكان الشيعة لاسترجاع حياتهم الطبيعية. وخلال زيارة الأمين العام للأمم المتحدة دمشق في منتصف تموز 1978، أثرتُ موضوع المساعدات الإنسانية أمامه فوافق على الفور. منذ ذلك التاريخ أصبحت الخدمات الإنسانية جزءاً لا يتجزأ من عمليات اليونيفيل، ففتحت المنشآت الطبية للناس، وأمدّتهم بالمياه. كما قدّم مهندسونا المساعدة لإعادة الكهرباء إلى المناطق، ولنزع الألغام من المزارع لكي يعود للمزارعين مصدر رزقهم الأساسي. وكنا نشعر بالطمأنينة والسعادة لدى رؤية المهجرين يعودون إلى منازلهم والأولاد إلى مدارسهم.

إعتمد استقرار جنوب لبنان في تلك الفترة بشكل حاسم على وجود اليونيفيل، كما وفّر هذا الوجود البيئة السليمة المناسبة للتقدم بعملية صنع السلام. آمل أن تتمكن اليونيفيل من متابعة مهمتها فيكون لها تأثير على عملية صنع السلام، والسعي نحو السلام الدائم. أود أن أغتنم هذه الفرصة التاريخية لكي أقدم الثناء إلى كل الجنود، والموظفين المدنيين أكانوا من المحليين أو الأجانب، الذين خدموا ويستمرون بخدمة قضية السلام من خلال اليونيفيل.

الفريق ايمانويل أ. أرسكين

كلفتنا حربنا الصغيرة في الطيري بعض العناصر، لكنها في المقابل برهنت على مبدأ الصرامة الجوهري، مبدأ كل قوة لحفظ السلام.

- الأمم المتحدة -

القوات الايرلندية خلال مهمة مراقبة من الموقع المطل على قرية الطيري ايار 1980

- الأمم المتحدة -

الوحدة الفرنسية تتوجه الى صور في جنوب لبنان بعد وصولها الى مطار بيروت للانضمام الى قوات اليونيفيل 24 آذار 1978

اليونيفيل ولدت من رحم الأزمة عام 1978

أربعون عاماً مضت وهي تساعد في الحفاظ على الهدوء في جنوب لبنان

بقلم اللواء إيمانويل أ. إرسكين، أول قائد عام لليونيفيل، من آذار 1978 إلى شباط 1981

نتيجةً للغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان في 14-15 آذار 1978، بعد مقتل إسرائيليين بالقرب من بلدة هيرتزليا الساحلية قبل أربعة أيام من ذلك، تمّ تحويل عدد كبير من قرى ومنازل جنوب لبنان إلى ركام. وبالإضافة إلى ذلك، تلوثت المزارع بالذخائر غير المنفجرة والعبوات الناسفة التي تكوّن معظمها من القنابل والألغام الأرضية، مما حرم سكان المنطقة اللبنانيين من الوصول الى أرزاقهم. وكذلك تمّ تدمير مضخات المياه وأعمدة الكهرباء من جرّاء القصف المتواصل بقذائف الهاون والمدفعية والغارات الجوية.

كان الاجتياح، الذي أطلق عليه اسم «عملية الليطاني»، عبارة عن هجوم خاطف، استهدف استراتيجياً أيضاً المقاتلين الفلسطينيين المسلحين الذين نسّقوا الهجوم في إسرائيل، في شمال نهر الليطاني. كانت خطوة للمساعدة في ضمان أن تكون المدن الساحلية الإسرائيلية، بما في ذلك حيفا ونهاريا، خارج نطاق صواريخ الكاتيوشا التي كانت تشكل خطراً دائماً على السكان.

بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي 425 في 19 آذار، والذي تأسست بموجبه قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل)، كان المهندسون الفرنسيون من بين أول الوحدات التي وصلت إلى اليونيفيل.

التقيتهم شخصياً واستقبلتهم في مطار بيروت الدولي في 23 آذار، وتبعهم النروجيون في 25 آذار. ثم ما لبث أن انضم المهندسون الغانيون إلى البعثة في آب من العام 1979.

كان إسهام المهندسين في المساعدة على إعادة الحياة إلى طبيعتها في جنوب لبنان أمراً جديراً بالثناء.

بصفتي القائد العام الأول، كان عليّ القيام بواجب ريادي في إعادة إعمار جنوب لبنان وأداء مهمتي لتحقيق الأهداف الأساسية الأربعة المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن الدولي 425، بما في ذلك سلامة أراضي لبنان، وانسحاب القوات الإسرائيلية، واستعادة السلام.

قام الأمين العام للأمم المتحدة في حينه، الدكتور كورت فالدهيم من النمسا، بتعييني في البداية قائداً عاماً بالإنابة. وتم تأكيد ذلك لاحقاً بتعييني قائداً عاماً ثابتاً – وبذلك أصبحت أول رئيس لبعثة اليونيفيل.

أحد الإنجازات الفريدة لليونيفيل هو إدخال البرنامج الإنساني كجزء لا يتجزأ من عملها في جنوب لبنان، وقد أصبح ذلك جزءا من عمل بعثات حفظ السلام اللاحقة التي اضطلعت بها كل من الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية الأخرى، مثل المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس).

أنا فخور جدا بهذا الإنجاز المبتكر. وقد أصبحت اليونيفيل، كما قلت دائماً، جزءاً لا يتجزأ من عملية السلام في الشرق الأوسط.

وفي هذا السياق، تحدث كل من **أندريا تيننتي وتيلاك بوخاريل ورانيا بدير** من مجلة «الجنوب» إلى **الجنرال إيرسكين** عبر الهاتف لمعرفة المزيد عن تجربته الشخصية خلال المرحلة الأولى من عمر اليونيفيل. واليكم بعض المقتطفات:

ولادة اليونيفيل الأولى: لاحظ كلمة «مؤقتة» في اسم قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان. لم يكن من المتوقع أن يتجاوز عمر البعثة فترة ولايتها الأولى المؤلفة من ستة أشهر (عندما تأسست في 19 آذار 1978). قبل تمديد الولاية مباشرةً، دعاني الأمين العام كورت فالدهيم للمشاركة في الدورة الاستشارية لمجلس الأمن. كان ذلك عندما طُرحت أسئلة وكان باستطاعتي المساعدة في الرد عليها. وقد دعاني إلى مكتبه في الطابق الثامن والثلاثين (في مبنى الأمانة العامة في نيويورك).

جرى نقاش بيني وبينه، وأطلعته على الوضع في لبنان، ثم اتصل بالرئيس الفرنسي في ذلك الوقت (فاليري جيسكار ديستان)، وناشده بشكل واضح بدعم تمديد المهمة لفترة ولاية ثانية كاملة مدتها ستة أشهر. وبعد 10-15 دقيقة من النقاش، وافق الرئيس على تمديد المهمة لمدة أربعة أشهر. وهكذا، تم تمديد الولاية الأولى لمدة أربعة أشهر (حتى 19 كانون الثاني 1979). وتم تمديد الولاية الثانية لمدة خمسة أشهر (حتى 19 حزيران 1979). وكذلك تمّ تمديد جميع الولايات اللاحقة لمدة ستة أشهر كاملة. لم يكن من المتوقع أن يتجاوز عمر البعثة مدة ستة أشهر، وها قد مرّت أربعين سنة حتى الآن.

التحدث إلى الأطراف: إذا نظرت إلى الولاية، فإنها تتحدث عن الاتصال بالأطراف لتحديد منطقة عمليات اليونيفيل، وكذلك السعي للحصول على دعمهم. في 21 آذار 1978، توجهت إلى بيروت برفقة ضابط كبير من الأمانة العامة للقاء (ياسر) عرفات (زعيم منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت). على الرغم من أن الإسرائيليين والفلسطينيين وعرفات قالوا إنهم مستعدون لدعمنا، فإن الحديث عن الدعم والحصول عليه لم يكن سهلاً.

كان هناك الكثير من الصعوبات. ثم حدث الانسحاب الإسرائيلي النهائي في 14 حزيران 1978.

الوضع على الأرض: كانت هناك قيود على الحركة، والتحرّك لم يكن بالأمر السهل. كان هناك الكثير من الألغام المزروعة في الأرض. معظم اللبنانيين الجنوبيين مزارعون ولم يكن بإمكانهم الوصول إلى أراضيهم، وكذلك لم يكن لديهم ماء وكهرباء. كان وجودنا نوعاً من الحافز لعودة اللبنانيين النازحين، وفعلاً بدأوا بالعودة. كان هناك الكثير من الحزن. لم يكن هناك منازل للعودة إليها، وكذلك دُمرت كل المراكز الطبية والمستشفيات. وحداتنا كان لديها ماء وطعام وأدوية. كان هناك الكثير من العمل للقيام به، بما في ذلك إعادة الإعمار. اعتمد سكان المنطقة علينا في كل شيء. وكانت عملية إزالة الألغام مهمة كبيرة أخرى.

لقد أعطاهم وجود اليونيفيل الأمل في الحياة. كان هناك الكثير من الدمار. لم يكن هناك شيء. لكننا جئنا بكل شيء. لم تكن الأشياء التي توجد لدينا من أجلهم، ولكن كيف يمكن أن تأكل عندما ترى الآخرين يعانون من الجوع؟ وهذا يفسر أهمية قيام اليونيفيل بالشروع في برامج إنسانية واسعة النطاق رغم عدم وجود مكوّن إنساني في ولايتنا. وفي وقت لاحق، وافق الأمين العام والمجتمع الدولي على اقتراحي بتضمين العناصر الإنسانية في الولاية. وكلهم ساعدوا بسبب وجود أزمة إنسانية.

ياسر عرفات مع مسؤولي الأمم المتحدة خلال الأداء بتصريح صحفي بعد قبوله دعوة الأمين العام إلى وقف إطلاق نار في جنوب لبنان

ضحايا اليونيفيل: الضحية الأولى كان جندي حفظ سلام سويدي قتل على جسر الخردلي. ثم سقط جنود سنغاليون وفرنسيون وإيرلنديون – كلهم قتلوا بسبب الألغام الأرضية في غضون 24 ساعة من وصولهم إلى المنطقة.

أزمة الطيري: وقعت مواجهة مسلحة كبيرة بيننا وبين قوى الأمر الواقع في الطيري عام 1980. لم يكن يمكننا أن نسمح لهم (قوى الأمر الواقع) بالسيطرة على المنطقة. كان من شأن ذلك أن يعرض للخطر عمل الإيرلنديين والهولنديين الذين كانوا مسؤولين عن المنطقة. وقد وقعت خسائر في الأرواح في صفوفنا، وكذلك في صفوف قوى الأمر الواقع.

وكعمل انتقامي، قبضوا على جنديين إيرلنديين وقتلوهم بدم بارد. كان الجنود يدافعون عن ولاية اليونيفيل في الطّيري. حدثت أزمة كبيرة صدمت العالم. في أعقاب ذلك، عُقدت قمة دبلن حيث حضرت جميع الدول المساهمة بقوات عسكرية. كان ذلك بمثابة عرض للقوة السياسية وشكّل حافزاً معنوياً كبيراً بالنسبة لنا، ذلك أنهم أبدوا تضامناً مع اليونيفيل.

الهجوم على مروحية: تعرّضت مروحيتي للهجوم مرتين. في احدى المرات، كنت متوجها على متن المروحية من الناقورة إلى قانا. كانت هناك ثقوب سببها طلقات نارية في المروحية. لا أعرف التفاصيل ولكن تمكنا من الهبوط. الهجوم الجوي الآخر الذي تعرضت له كان أثناء الطيران من بيروت إلى الناقورة.

> كان هناك الكثير من الألغام المزروعة في الأرض. معظم اللبنانيين الجنوبيين مزارعون ولم يكن بإمكانهم الوصول إلى أراضيهم، وكذلك لم يكن لديهم ماء وكهرباء. كان وجودنا نوعاً من الحافز لعودة اللبنانيين النازحين.

عندما وصلنا الى قبالة صور، سمعنا صوت دوي في المروحية. وعندما هبطنا في الناقورة، جاء الإيطاليون لفتح الباب، ولكن لم يكن هناك باب لفتحه. في تلك المرة شعرت بالخوف لأنني لم أكن سباحاً ماهراً.

الكلمات الأخيرة: في النهاية، أغتنم الفرصة لأعرب عن أطيب تمنياتي وتهنئتي للقائد العام وجنوده وللقادة على جميع المستويات والموظفين المدنيين والحكومات المساهمة على كل ما قاموا به لمساعدة اليونيفيل، ومن خلال اليونيفيل مساعدة الشعب اللبناني.